

ظهر الإنحراف في جميع مجالات الحياة، وترك تأثيره السلبي على جميع مقومات الشخصية المسلمة في الفكر والعاطفة والسلوك والتغلغل في ميدان الحياة الاجتماعية وتحول الإسلام الى طقوس ميتة لا تمت الى الواقع بصلة، ويمكننا توضيح ذلك في:-

#### أولاً / الإنحراف الفكري والعقائدي:

إزداد الانحراف في الافكار والعقائد بشكل واضح وكبير وشجع بني أمية على ذلك لأنه كان يخدم مصالحهم ويشغل المسلمين عن التفكير في محاولة تغيير الأوضاع أو تحسينها، فكثرت الانحرافات الفكرية والعقائدية وتعاطمت وأصبح لها أتباع وأنصار وتحولت الى تيارات خالف الكثير منها الأسس الواضحة للعقيدة الاسلامية فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والإرجاء كما انتشرت أفكار التجسيم وتشبيه الله تعالى بمخلوقاته، وكثرت الشبهات حول ماهية الله تعالى وذاته، وتنوعت تيارات الغلو فزعموا الحلول للذات الإلهية في قوم من الصالحين، وقالوا بالتناسخ وانتشرت الزندقة فجحداوا البعث والنشور، واختلقت كثير من الأحاديث والروايات والفضائل لدعم التسلط الأموي وطرحت نظرية عدالة الصحابة بقوة وفي نفس الوقت منعوا نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) وانتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأي، وراح القياس في الاحكام والتفسير بالرأي لآيات القرآن، كما انتشرت أفكار التصوف والاعتزال عن الحياة، وفصل الدين عن السياسة وكان للحكام دور كبير في خلق المذاهب المنحرفة والتشجيع عليها وخاصة تلك التي كانت تحمل شعار الانتساب لأهل البيت(عليهم السلام) كالكيسانية لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت(عليهم السلام).

#### ثانياً / الإنحراف السياسي:

حوّلت السياسة الاموية الخلافة الى مُلك يتوارثه الأبناء، وتوزيع المناصب المهمة في الدولة على أبنائهم وأقاربهم والمتملقين لهم، وأستبدوا بالأمر فلا شورى ولا إستشارة إلا مع المنحرفين والفُسّاق، فحينما وجد الوليد بن عبد الملك أن ولاية عمر بن عبد العزيز على مكة والمدينة قد أصبحت ملجأً للهاربين من ظلم الولاة الأمويين قام بعزله تنكيلاً منه بالمعارضين وإرهابهم.

وكان سليمان بن عبد الملك مُحاطاً بثلة من الرجال عُرفوا بفسقهم وإنحرافهم وسوء سيرتهم كما وصفهم أعرابي عنده بقوله: (فإنهم لم يأتوا إلا ما فيه تضييع وللأمة خسف وعسف، وأنت مسؤول عما أجزموا وليسوا مسؤولين عما أجزمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك). وسياسة عبد الملك التي اوضحها بوصيته للوليد تبين بدقة ما كانت عليه سياستهم مع الرعية، فقال:(أدعُ الناس الى البيعة فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا).

وأقرَّ كثير من الفقهاء هذه السياسة خوفاً أو طمعاً أو استسلاماً للأمر الواقع فقد أقروا بدعة تولية الحكم بالعهد الى إثنين أو أكثر حتى أصبحت نظرية من نظريات تولي الحكم.

وأمتازت هذه المرحلة التي عاشها الإمام الباقر(عليه السلام) بسرعة تبدل الحكام وقصر المدة التي حكمها وكان الحاكم ينشغل بالجهاز على ولاية من سبقه وكثرت الاختلافات داخل البيت الأموي تنافساً على الحكم، كما كثرت الفتن الداخلية في عهدهم حتى قام بعض الولاة في خلع الحاكم واستقلال ولايته كما فعل قتيبة بن مسلم بخلع سليمان بن عبد الملك والاستقلال بخراسان، وكما فعل يزيد بن المهلب بخلع يزيد بن عبد الملك سنة(١٠١) هجري الذي قام بقتله ومطاردة أتباعه وقتلهم.

وفي عهد هشام بن عبد الملك إزداد الإرهاب والتنكيل بأهل البيت وشيعتهم وسائر المعارضين حتى سجن هشام الإمام الباقر(عليه السلام) وأقدم على اغتياله.

والنتجأ الكثير للعمل السري للإطاحة بالحكم الأموي، فكان العباسيون يعدّون العدة ويثبون دعواتهم في الأقاليم وخصوصاً خراسان، كما اخذ زيد بن علي يعدّ العدة للثورة على الأمويين في وقتها المناسب.

#### ثالثاً / الإنحراف الأخلاقي:

أدى توسع عمليات الفتح والغزو غير الصحيحة الى خلق الاضطرابات في المجتمع الاسلامي، وتشتيت الأسر بغياب المعيل أو فقداؤه، كما كثرت الجوازي والعبيد التي ساعدت على الانحراف في البلاط الأموي الذي أنتقل الى الأمة ، وأنشغلوا باللهو والغناء دون حدود أو قيود وخصوصاً في زمن الوليد بن عبد الملك بشكل خاص.

وأقبل يزيد بن عبد الملك على شرب الخمر واللهو ولم يتب من الشراب إلا اسبوعاً واحداً حتى عادت إليه بتأثير جاريته حنابة. وهكذا وصل الإنحراف ذروته حينما اصبح اللهو والمجون من أولى هموم حكام الدولة، وطبيعي أن تنحرف الأمة بانحراف حكامها وولايتها وأجهزة دولتها لأن الناس على دين ملوكها وبذلك ابتعدت غالبية الناس من الأهداف الكبرى التي حددها المنهج الاسلامي.

#### رابعاً / الإنحراف في الميدان الاقتصادي:

لقد تصرف الحكام بالأموال العامة وكأنها مُلك شخصي لهم فكانوا ينفقونها على ملذاتهم وشهواتهم وعلى الجوازي والمُغنين، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم والضمانر ويمنحوها لمن يساهم في تثبيت سلطنتهم أو مدحهم، وعلى الشعراء المزلفين بصفة خاصة. وكان حكام بين أمية يعيشون في أعلى مراتب الترف والبيذخ ويبذرون أموال المسلمين على لهوهم وشهواتهم والمقربين لهم في وقت كان كثير من الناس يعيشون حياة الفقر والجوع والحرمان.

وبتعطيل مبدأ التكافل الاجتماعي إزداد التمييز الطبقي فازدادت معاناة الناس وهمومهم ولم تكثر الدولة لذلك ولم تحثُ على الانفاق بل ضاعفت من الضرائب وأضافوا ضرائب جديدة أثقلت كاهل الكسبة والصنّاع وأصحاب الحرف وخصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك. وهكذا إنساق الناس وخصوصاً اتباع الامويين وراء شهواتهم ورغباتهم، وأنشغل الكثير منهم في السعي للحصول على الأموال بأي وجه أمكن.

أما دور الإمام الباقر (عليه السلام) فقد كان دوراً إصلاحياً لإعادة الحاكم وأجهزته وإعادة الأمة برمتها الى الاستقامة في العقيدة والشريعة وكان أسلوب الإمام (عليه السلام) الإصلاحي متفاوتاً تبعاً لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به. فلقد كان الإمام (عليه السلام) مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي وكان يقصدونه كبار رجالات الفقه الاسلامي مثل سفيان الثوري وأبو حنيفة وسفيان بن عيينة. وتمثل دور الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في هذه الفترة باتجاهين متزامنين لينقذ الأمة الاسلامية مما هي عليه ويؤدي دوره القيادي فيها وهما:

الاتجاه الأول: الحركة الإصلاحية العامة:

وتمثلت في التحرك بين أوساط الأمة وعموم الناس بما فهم المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى، فضلاً عن التحرك على الحكام وأجهزتهم لإعادتهم الى خط الاستقامة والحد من انحرافاتهم.

الاتجاه الثاني: بناء الجماعة الصالحة:

لتقوم بدورها في إصلاح الأوضاع العامة للأمة والدولة طبقاً للأسس والقواعد الثابتة التي أرسى دعائمها أهل البيت (عليهم السلام). وعلينا أن نبين هذين الاتجاهين بشيء من التفصيل.

المصدر: مهدي الأشواني، الحياة السياسية والاجتماعية والاخلاقية لأئمة أهل البيت عليهم السلام